

الكبائر

الكبيرة الثامنة : عقوق الوالدين .

قال ﷺ : { وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا } أي برا و شفقة و عطفًا عليهما { إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف و لا تنهرهما } : أي لا تقل لهما بتبرم إذا كبرا و أسنا و ينبغي أن تتولى خدمتهما ما توليا من خدمتك على أن الفضل للمتقدم و كيف يقع التساوي و قد كانا يحملان أذاك راجين حياتك و أنت إن حملت أذاهما رجوت موتهما ثم قال ﷺ : { و قل لهما قولا كريما } أي لينا لطيفا { و اخفض لهما جناح الذل من الرحمة و قل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا } و قال ﷺ : { أن اشكر لي و لوالديك إلي المصير } فانظر رحمك ﷺ كيف قرن شكرهما بشكره قال ابن عباس Bهما : ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث لا تقبل منها واحدة بغير قرينتها (إحداهما) قول ﷺ : { أطيعوا ﷺ و أطيعوا الرسول } فمن أطاع ﷺ و لم يطع الرسول لم يقبل منه (الثانية) قول ﷺ : { و أقيموا الصلاة و آتوا الزكاة } فمن صلى و لم يزك لم يقبل منه (الثالثة) قول ﷺ : { أن اشكر لي و لوالديك } فمن شكر ﷺ و لم يشكر لوالديه لم يقبل منه و لذا قال النبي صلى ﷺ عليه و سلم [رضى ﷺ في رضى الوالدين و سخط ﷺ في سخط الوالدين] .

و [عن ابن عمر Bهما قال : جاء رجل يستأذن النبي صلى ﷺ عليه و سلم في الجهاد معه فقال النبي صلى ﷺ عليه و سلم : أحى والداك ؟ قال : نعم قال : ففيهما فجاهد] مخرج في الصحيحين فانظر كيف فضل بر الوالدين و خدمتهما على الجهاد ! .

و في الصحيحين [أن رسول ﷺ صلى ﷺ عليه و سلم قال : ألا أنبئكم بأكبر الكبائر : الإشراك بـ ﷺ و عقوق الوالدين] فانظر كيف قرن الإساءة إليهما و عدم البر و الإحسان بالإشراك و في الصحيحين أيضا [أن رسول ﷺ صلى ﷺ عليه و سلم قال : لا يدخل الجنة عاق و لا منان و لا مدمن خمر] و عنه صلى ﷺ عليه و سلم قال : [لو علم ﷺ شيئا أدنى من الأف لنهى عنه فليعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة و ليعمل البار ما شاء أن يعمل فلن يدخل النار] و قال صلى ﷺ عليه و سلم : [لعن ﷺ العاق لوالديه] و قال صلى ﷺ عليه و سلم : [لعن ﷺ من سب أباه لعن ﷺ من سب أمه] و قال صلى ﷺ عليه و سلم : [كل الذنوب يؤخر ﷺ منها ما شاء إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين فإنه يعجل لصاحبه يعني العقوبة في الدنيا قبل يوم القيامة] .

و قال كعب الأحبار C : إن ﷺ ليعجل هلاك العبد إذا كان عاقا لوالديه ليعجل له العذاب و

أن اﻻ ليزيد في عمر العبد إذا كان بارا بوالديه ليزيده برا و خيرا و من برهما أن ينفق عليهما إذا احتاجا فقد جاء رجل إلى النبي صلى اﻻ عليه و سلم فقال : يا رسول اﻻ إن أبي يريد أن يحتاج مالي فقال صلى اﻻ عليه و سلم : [أنت و مالك لأبيك] و سئل كعب الأحبار عن عقوق الوالدين ما هو ؟ قال هو إذا أقسم عليه أبوه أو أمه لم يبر قسمها و إذا أمره بأمر لم يطع أمرهما و إذا سألاه شيئا لم يعطهما و إذا ائتمناه خانهما .

و سئل ابن عباسBهما عن أصحاب الأعراف من هم و ما الأعراف ؟ فقال : أما الأعراف فهو جبل بين الجنة و النار و إنما سمي الأعراف لأنه مشرف على الجنة و النار و عليه أشجار و ثمار و أنهار و عيون و أما الرجال الذين يكونون عليه فهم رجال خرجوا إلى الجهاد بغير رضا آبائهم و أمهاتهم فقتلوا في الجهاد فمنعهم القتل في سبيل اﻻ من دخول النار و منعهم عقوق الوالدين عن دخول الجنة فهم على الأعراف حتى يقضي اﻻ فيهم أمره .

و في الصحيحين [أن رجلا جاء إلى رسول اﻻ صلى اﻻ عليه و سلم فقال يا رسول اﻻ من أحق الناس مني بحسن الصحبة ؟ قال أمك قال ثم من ؟ قال : أمك قال : ثم من ؟ قال : أمك قال : ثم من ؟ قال : أبوك ثم الأقرب فالأقرب] فحص على بر الأم ثلاث مرات و على بر الأب مرة واحدة و ما ذاك إلا لأن عناها أكثر و شفقتها أعظم مع ما تقاسيه من حمل و طلق و ولادة و رضاعة و سهر ليل .

رأى ابن عمرBهما رجلا قد حمل أمه على رقبتة و هو يطوف بها حول الكعبة فقال : يا ابن عمر أتراني جازيتها ؟ قال : و لا بطلقة واحدة من طلقاتها و لكن قد أحسنت و اﻻ يثيبك على القليل كثيرا .

و [عن أبي هريرةBه قال : قال رسول اﻻ صلى اﻻ عليه و سلم : أربعة نفر حق على اﻻ أن لا يدخلهم الجنة و لا يذيقهم نعيمها : مدمن خمر و آكل ربا و آكل مال اليتيم ظلما و العاق لوالديه إلا أن يتوبوا] و قال صلى اﻻ عليه و سلم : [الجنة تحت أقدام الأمهات] و جاء رجل إلى أبي الدرداءBه فقال : يا أبا الدرداء إني تزوجت امرأة و إن أمي تأمرني بطلاقها فقال أبو الدرداء : سمعت رسول اﻻ صلى اﻻ عليه و سلم يقول : [الوالد أوسط أبواب الجنة فإن شئت فأضع ذلك الباب أو احفظه] و قال صلى اﻻ عليه و سلم : [ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن : دعوة المظلوم و دعوة المسافر و دعوة الوالد على ولده] و قال صلى اﻻ عليه و سلم : [الخالة بمنزلة الأم أي في البر و الإكرام و الصلة و الإحسان] و عن وهب بن منبه قال : إن اﻻ تعالى أوحى إلى موسى صلوات اﻻ و سلامه عليه يا موسى وقر والديك فإن من وقر والديه مددت في عمره و وهبت له ولدا يوقره و من عق والديه قصرت في عمره و وهبت له ولدا يعقه .

و قال أبو بكر بن أبي مريم : قرأت في التوراة أن من يضرب أباه يقتل و قال وهب : قرأت

في التوراة : على من مك والده الرجم .

و عن عمرو بن مرة الجهني قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله أرأيت إذا صليت الصلوات الخمس وصمت رمضان وأديت الزكاة وحجت البيت فماذا لي ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [من فعل ذلك كان مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين إلا أن يعق والده] و قال صلى الله عليه وسلم : [لعن الله العاق والده] و جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : [رأيت ليلة أسري بي أقواما في النار معلقين في جذوع من نار فقلت : يا جبريل من هؤلاء قال : الذين يشتمون آباءهم و أمهاتهم في الدنيا] .

و روي أن من شتم والده ينزل عليه في قبره جمر من نار بعدد كل قطر ينزل من السماء إلى الأرض و يروى أنه إذا دفن عاق والده عصره القبر حتى تختلف فيه أضلاعه و أشد الناس عذابا يوم القيامة ثلاثة : المشرك و الزاني و العاق لوالديه .

و قال بشر : ما من رجل يقرب من أمه حيث حيث يسمع كلامها إلا كان أفضل من الذي يضرب بسيفه في سبيل الله و النظر إليها أفضل من كل شيء [و جاء رجل و امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يختمان في صبي لهما فقال الرجل : يا رسول الله ولدي خرج من صليبي و قالت المرأة : يا رسول الله حملي خفا و وضعه شهوة و حملته كرها و وضعته كرها و أرضعته حولين كاملين فقضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمه] .

(موعظة) : أيها المضيع لآكد الحقوق المعتاض من بر الوالدين العقوق الناسي لما يجب عليه الغافل عما بين يديه بر الوالدين عليك دين و أنت تتعاطاه باتباع الشين تطلب الجنة بزعمك و هي تحت أقدام أمك حملتك في بطنها تسعة أشهر كأنها تسع حجج و كابدت عند الوضع ما يذيب المهج و أرضعتك من ثديها لبنا و أطارت لأجلك وسنا و غسلت بيمينها عنك الأذى و آثرتك على نفسها بالغذاء و صيرت حجرها لك مهذا و أنالتك إحسانا و رفدا فإن أصابك مرض أو شكاية أظهرت من الأسف فوق النهاية و أطالت الحزن و النحيب و بذلت مالها للطبيب و لو خيرت بين حياتك و موتها لطلبت حياتك بأعلى صوتها هذا و كم عاملتها بسوء الخلق مرارا فدعت لك بالتوفيق سرا و جهارا فلما احتاجت عند الكبر إليك جعلتها من أهون الأشياء عليك فشبت و هي جائعة و رويت و هي قانعة و قدمت عليها أهلك و أولادك بالإحسان و قابلت أياديها بالنسيان و صعب لديك أمرها و هو يسير و طال عليك عمرها و هو قصير هجرتها و مالها سواك نصير هذا و مولاك قد نهاك عن التأفف و عاتبك في حقها بعتاب لطيف ستعاقب في دنياك بعقوق البنين و في أخراك بالبعد من رب العالمين يناديك بلسان التوبيخ و التهديد (ذلك بما قدمت يداك و أن الله ليس بظلام للعبيد) : .

(لأمك حق لو علمت كثير ... كثير يا هذا لديه يسير) .

- (فكم ليلة باتت بثقلك تشتكي ... لها من جواها أنه و زفير) .
- (و في الوضع لو تدري عليها مشقة ... فمن غصص منها الفؤاد يطير) .
- (و كم غسلت عنك الأذى بيمينها ... و ما حجرها إلا لديك سرير) .
- (و تفديك بما تشتكيه بنفسها ... و من ثديها شرب لديك نمير) .
- (و كم مرة جاعت و أعطتك قوتها ... حنانا و إشفاقا و أنت صغير) .
- (فأها لذي عقل و يتبع الهوى ... و آها لأعمى القلب و هو بصير) .
- (فدونك فارغب في عميم دعائها ... فأنت لما تدعو إليه فقير) .

[حكى أنه كان في زمن النبي صلى الله عليه و سلم شاب يسمى علقمة و كان كثير الإجهاد في طاعة الله في الصلاة و الصوم و الصدقة فمرض و اشتد مرضه فأرسلت امرأته إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم : إن زوجي علقمة في النزاع فأردت أن أعلمك يا رسول الله بحاله فأرسل النبي صلى الله عليه و سلم عمارا و صهيبا و بلالا و قال : امضوا إليه و لقنوه الشهادة فمضوا إليه و دخلوا عليه فوجدوه في النزاع فجعلوا يلقنونه (لا إله إلا الله) و لسانه لا ينطق بها فأرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم يخبرونه أنه لا ينطق لسانه بالشهادة فقال النبي صلى الله عليه و سلم : هل من أبويه أحد حي ؟ قيل : يا رسول الله أم كبيرة السن فأرسل إليها رسول الله صلى الله عليه و سلم و قال للرسول : قل لها إن قدرت على المسير إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم و إلا فقري في المنزل حتى يأتيك قال : فجاء إليها الرسول فأخبرها بقول رسول الله صلى الله عليه و سلم فقالت : نفسي لنفسه فداء أنا أحق بإتيانه فتوكلات و قامت على عصا و أتت رسول الله صلى الله عليه و سلم فسلمت فرد عليها السلام و قال لها : يا أم علقمة أصدقيني و إن كذبت جاء الوحي من الله تعالى كيف كان حال ولدك علقمة ؟ قالت : يا رسول الله كثير الصلاة كثير الصيام كثير الصدقة قال رسول الله صلى الله عليه و سلم فما حالك ؟ قالت : يا رسول الله أنا عليه ساخطة قال : و لم ؟ قالت : يا رسول الله كان يؤثر علي زوجته و يعصيني فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : إن سخط أم علقمة حجب لسان علقمة عن الشهادة ثم قال : يا بلال انطلق و اجمع لي حطباً كثيراً قالت يا رسول الله و ما تصنع ؟ قال : أحرقه بالنار بين يديك قالت : يا رسول الله ولدي لا يحتمل قلبي أن تحرقه بالنار بين يدي قال : يا أم علقمة عذاب الله أشد و أبقي فإن سرك أن يغفر الله له فارضي عنه فوالذي نفسي بيده لا ينتفع علقمة بصلاته و لا بصيامه و لا بصدقته ما دمت عليه ساخطة فقالت : يا رسول الله إني أشهد الله تعالى و ملائكته و من حضرنى من المسلمين أنني قد رضيت عن ولدي علقمة فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : انطلق يا بلال إليه وانظر هل يستطيع أن يقول لا إله إلا الله أم لا ؟ فلعل أم علقمة تكلمت بما ليس في قلبها حياء مني فانطلق فسمع علقمة من داخل الدار يقول : لا إله إلا الله فدخل بلال فقال : يا هؤلاء إن سخط أم علقمة حجب لسانه عن الشهادة و أن

رضاها أطلق لسانه ثم مات علقمة من يومه فحضره رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بغسله و كفنه ثم صلى عليه و حضر دفنه ثم قام على شفير قبره و قال : يا معشر المهاجرين و الأنصار من فضل زوجته على أمه فعليه لعنة الله و الملائكة و الناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا و لا عدلا إلا أن يتوب أن يتوب إلى الله عز و جل و يحسن إليها و يطلب رضاها فرضى الله في رضاها و سخط الله في سخطها فنسأل الله أن يوفقنا لرضاه و أن يجنبنا سخطه إنه جواد كريم رؤوف رحيم]